

الرأس النظرية في الجغرافية البشرية

داودهاشم الربيعي

لا يوجد ثمة اتفاق بين الجغرافيين حول اصالة الجغرافية البشرية ومادتها ومنهجها وميدانها وحتى هدفها الى الوقت الحاضر . حيث لوحظ بأن ذلك لا يقف على اساس ثابت ، بل يعتمد على طرق التفكير الخاصة ، والرأى السائد عن مفهومها في اي من الفترات التي مرت بها ، وفي اي من المدارس الجغرافية الفكرية التي كتبت عنها . وبناء على ذلك لابد أن تفحص نفسها بين فترة واخرى ، كي تثبت اصالتها ، ولتبرر موقعها بين العلوم التي تدرس الانسان والارض .

يمثل هذا البحث دراسة نظرية عن الجغرافية البشرية وان لمثل هذه الدراسات اهمية بالغة ، لترد على ما يثار من شكوك حول هذا العقل من المعرفة ، ونحن نعتقد ان ضعف القاعدة النظرية في الجغرافية البشرية ، هو احد الاسباب الرئيسة لتلكوها عن الاجابة على الاسئلة التي تشكك في حقيقتها . لذا يشكل البحث عموماً ، اجابة عن الاسئلة التالية : كيف نشأت وتطورت الجغرافية البشرية ؟ ماهو تعريفها ، ماهو ميدانها ؟ ثم ماهي المواضيع والمناهج المتبعة فيها ؟ ويحدونا ذلك الى القول بأنه اذا لم نفهم موضوع ما فلنتعرف على طريقة فهم ذلك الموضوع .

نشأة الجغرافية البشرية وتطورها

عند الاطلاع على تاريخ اي من العلوم ، نجد انه ينشأ من فكرة عامة تطرح في حقل المعرفة العام ، ثم تحدد وتعرف ويوضع لها منهج خاص ، يبدأ بجمع المعلومات وترتيبها ووضع الفرضيات ثم النظريات ومحاولة اثباتها ، واخيراً وضع القوانين لها ، لتحديد شخصيتها كعلم مميز . وسنتابع تطبيق ذلك على الجغرافية البشرية لنوضح مدى ما توصلت اليه من هذه السلسلة . وقبل ان نتابع ذلك ، لابد ان نأخذ بالاعتبار الحقائق التالية : -

١ - لا يمكن ان ينشأ ويتطور اي من العلوم دون مساندة العلوم الاخرى له .

٢ - هناك دراسات تهدف للتوصل الى قوانين عامة تسمى Nomothetic
واخرى تهتم بحالات فردية تسمى Idiographic (١) . وتضم
الجغرافية البشرية صفات كلا النوعين ، حيث تهتم معظم دراساتها
بتحليل حالات فردية ، وفي بعضها الاخر تجهد للوصول الى نظريات
وقوانين .

٣ - ان الجغرافية البشرية ، نشأت وتطورت ضمن الحقل العام للمعرفة
الجغرافية (×) . وقد حاولنا جاهدين تحديد نشأتها وتطورها
من خلال تطور الفكر الجغرافي العام دون الغوص بتفاصيل هذا
التطور ، حرصا على ابراز هذا الجانب المهم من الجغرافية ، ذلك
لان التخصص الدقيق في الجغرافية ، يساعد على التحليل الثاقب
لعناصر بيئة السكان وبالتالي تراكم الحقائق المادية ، واخيرا يوفر
امكانية استنتاج القواعد الجغرافية العامة منها (٢) .

(١) عباس عبد الرزاق ، الاطار النظري في الجغرافية ، بغداد ، ١٩٧٠ ،
ص ١٣

(×) تحددت الجغرافية البشرية ضمن حقل المعرفة الجغرافية خلال القرن
التاسع عشر لتمييزها عن الجغرافية الطبيعية ، الا انها ظلت تستخدم
الاساس الطبيعي كمدخل لدراساتها الى الوقت الحاضر ، لذا يفضل
البعض تسميتها بالجغرافية الحديثة Modern Geography بدلا من
الجغرافية البشرية Human Geography التي شاع استخدامها كبديل
للجغرافية الاجتماعية Social Geography سيما بعد ان نشر لابلاش
كتابة (مبادئ الجغرافية البشرية) عام ١٩٢٢ . لزيادة الاطلاع
راجع :

تي ديليو فريمان ، قرن من التطور الجغرافي ، ترجمة شاكر خصبك ،
بغداد ، ١٩٧٦ ص ٢٦٠
وراجع ايضا :

J. W. Lebon, An Introduction to Human Geography, London,
1952, P. 40.

وراجع ايضا

J. W. Watson, The Sociological aspect of Geography, Geo. in
20th. Cen., Edited by G. Taylor, London, 1967, P. 463.

(٢)

Anuchin, A. V., Theory of Geography, No. 3, Direction in
Geography, Edited by Chorely, London, 1973, P. 60.

وستتابع نشأة وتطور الجغرافية البشرية من خلال مناقشة آرائها الفكرية ، لكونها نشأت نشأة حتمية ثم ما لبثت ان ظهرت فيها آراء اخرى سنتابعها فيما بعد .

١ - الآراء الحتمية : Determinism (x)

عند تتبع نشأة وتطور الجغرافية البشرية ، نجد انها من المواضيع القديمة التي عالجها الفلاسفة والمؤرخون منذ فترة ما قبل البلاد . ويمكن ان نقف على ذلك من خلال كتابات البعض منهم . مثل هيبوقراط ٤٢٠ ق م في كتابة (الجو والماء والاقليم) وارسطو ٢٨٤ - ٢٢٢ ق م في كتابة (السياسة) وسترابون ٦٣ ق م - ٣٦ م . حيث اوضح هؤلاء العلاقات السببية بين طباع الناس وانواع المناخ والتضاريس (٢) .

واستمرت الجغرافية البشرية بفكرتها الحتمية التي ظهرت عند الاغريق ، الى القرون الوسطى ، حيث سبتت خلال هذه الفترة في اوربا ، لسيطرة افكار الكنيسة . الا انها انتقلت الى بلاد العرب خلال تلك الفترة ،

(x) الحتمية Determinism مأخوذة من الكلمة اللاتينية Determinaw

وتعني (احدات) وبموجبها يوصف مجرى الاحداث بخضوعه لسببية قانونية وقد استخدم المصطلح في الجغرافية ليعني خضوع الناس لسيطرة البيئة الطبيعية وعلى ضوء ذلك تسمى ايضا بالسببية او البيئية وكلها تعني ان الظروف الواحدة تنتهي الى نتائج واحدة . راجع ق . افاناسييف ، اسس الفلسفة الماركسية ، ترجمة عبد الرزاق الصافي - بغداد (السنة غير مذكورة) هامش ص ١١٩

(١)

J. Tatham, Environmenlism and possibilism, Geo. in 20th Cen.
P.P. 28-198.

وراجع ايضا : محمد السيد غلاب ، البيئة والمجتمع ، ط/٢ ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٤
وراجع ايضا : عبد الفتاح محمد وهيبه ، جغرافية الانسان ، بيروت ، ١٩٧٢ ص ١١

حيث ظهرت في كتاب بن حوقل (المسالك والممالك) وفي مقدمة بن خلدون .
ثم عاد الاهتمام في اوربا ، بدراسة تأثير البيئة الطبيعية على حياة
الجماعات البشرية خلال عصر النهضة . ويظهر ذلك من خلال تأكيد بودان
١٥٣٠ - ١٥٩٦ في كتابه (الجمهورية) على تأثير المناخ في طباع الناس
ونظمهم الاجتماعية وكذلك في كتاب (روح القوانين) لمنتسكيو في القرن
السابع عشر (١) .

وقد كون هؤلاء الرعيل الاول لما يعرف بالحميين ، الذين وضعوا
بذور الارام الحتمية او البيئية Environmentalism
وقد ظل المفهوم الحتمي للجغرافية البشرية سائدا حتى القرن التاسع
عشر حيث تحدد وتطور نتيجة عدة عوامل : -

أ- تطور الدراسات الطبيعية ، الفلكية والجيولوجية
والبايولوجية (×) . ونتيجة لذلك حاول الجغرافيون ، دراسة
الجغرافية البشرية ، بنفس طريقة دراسة هذه العلوم جاهدين
انفسهم للوصول الى نظريات عن طريق محاكاة الاساليب العلمية
المتبعة في العلوم الطبيعية .

ب- تطور الدراسات الاحصائية ، سيما الاجتماعية منها ، التي دلت على
ان نشاط الانسان تتحكم فيه مجموعة من القوانين الطبيعية
والاقتصادية (٢) .

ج- نشاط حركة الكشوف الجغرافية ، وفرت مادة غزيرة للبحث عن
العلاقة بين الجماعات البشرية وبيئاتها الطبيعية ، ولكن هذا لايعني
ان الجغرافية تطورت نتيجة توفر مادة البحث ، بل نتيجة تطور
الفكر الجغرافي بالدرجة الاولى .

ونتيجة لذلك تحددت الجغرافية البشرية خلال النصف الثاني من القرن
التاسع عشر على انها دراسة تأثير عناصر البيئة الطبيعية على حياة الانسان
من الناحية الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والعمرائية . كما ان هذه
الفكرة بعد ان كانت تطرح كموضوع ثانوي في مؤلفات غير جغرافية ،

(١) المصادر السابقة .

(×) نتج عن هذا التطور ، نظريات ودراسات علمية متعددة مثل نظرية
كانت عن المجموعة الشمسية ونظرية الارض لجيمس هتن ونظرية
لابلاش عن نشؤ المجموعة الشمسية ونظرية لايل عن التتابع الطبقي
في الجيولوجيا ثم نظرية التطور لدارون .

(٢) فؤاد محمد الصغار ، دراسات في الجغرافية البشرية ، القاهرة

١٩٦٥ ، ص ٣٠

اصبحت الموضوع الرئيس في مؤلفات جغرافية يؤكد مؤلفوها (×) على ان الانسان كبقية الكائنات الحية ، خاضع لمؤثرات البيئة الطبيعية ، ونتيجة لذلك ظهر ما يعرف بعلم البيئة الحيوية Ecology الذي يدرس تلاؤم الكائنات الحية الى البيئة الطبيعية (١) كما اكدوا على حتمية البيئة الطبيعية وضرورتها التي يجب ان يستغلها الانسان ويتكيف لها . ولذا ذكر البعض ، يجب ان نعيش على ما وفرة طبيعة الارض وان تتكيف لقانونها

We must live

on the land nature, has given him submitting to the law

We must ask the earth for its law

واكدوا على ان البيئة الطبيعية هي كل شيء في حياة الانسان ، لذا فسروا ما غمض من ظاهرات بشرية على ضوء عناصر البيئة الطبيعية . وبناء على ذلك ذكروا بأن تشابه البيئات ينتج انماط بشرية متشابهة . وقد اعتمدت هذه الاراء في كتابات بعض الجغرافيين خلال القرن العشرين . ويظهر ذلك في ان تاريخ المجتمع البشري ، ماهو الا استجابة لظروف البيئة الطبيعية ، اضافة الى ان هذه البيئة هي التي تشكل المجتمع

(×) من هؤلاء الحتمين : ريتزر ١٧٧٩ - ١٨٥٩ (الجغرافية المقارنة) وهمبلت ١٧٦٩ - ١٨٥٩ (العالم) وراتزل ١٨٨٢ - ١٨٩١ (الجغرافية البشرية) ولايلاي (١٨٠٦ - ١٨٨٢) وسامبل ١٨٦٣-١٩٣٢ (تأثيرات البيئة الجغرافية) وريكلس ١٨٧٦-١٨٩٤ (العالم ، الارض والسكان) وديمولان (كيف خلق الطريق ، الطراز الاجتماعي) . . . الخ .

(١)

Tutham, Environmentalism and possibilism, P. 133.

وراجع ايضا : محمد السيد غلاب ، البيئة والمجتمع ، ص ٢٥ ولزيادة الاطلاع عن تطور هذا العلم راجع :

(٢)

Geography as Human Ecology, Edited by S. R. Eyre & R. Jones, London, 1966.

راجع ايضا

Jones, Human Geography, 5th. impre., London, 1969, P. 15.

Tatham, Geography in 19th. Cen. P. 46.

الذي نتج من تراكبها ، كما تقرر تطوره (١) . وقد اضمحلت هذه الاراء فيما بعد متخذة اساليب مختلفة تعطي اهمية نسبية الى دور الانسان في البيئة الطبيعية ، ويتضح ذلك في كتابات تايلور وهنتكتون وبرستون جيمس ونحن نتفق مع هذه الاراء في ثلاث حالات ونعارضها في حالات عديدة اخرى . نتفق معها في بداية ظهور الانسان . صحيح ان ظهوره كان حدثا طبيعيا مهما الا ان تأثيرها على البيئة كان بقدر تأثير بقية الحيوانات عليها ، ولكن عندما زادت اعدادها وكون جماعات مستقرة ، اصبحت تلك الجماعات خاضعة الى قوانين المجتمع اضافة الى قوانين الطبيعة ، مكونة بذلك عنصرا فعالا ذا تأثير مباشر في مظهر البيئة التي تسكنها . وقد اختلف مدى التأثير وفقا لاختلاف

المستوى الحضاري (٢) . كما نتفق مع هذه الاراء في ان البيئة الطبيعية ضرورية للوجود البشري ، حيث تستمد الجماعات البشرية ، عناصر حياتها الاساسية ، كالغذاء والماء والمأوى . . الخ ونتفق معها ايضا بصورة نسبية عند دراسة الجماعات البدائية في البيئات الطبيعية القاسية . اما الرد على هذه الاراء فسنورده ضمن الاراء الامكانية .

وللجغرافيين الحتميين الفضل في نشؤ الجغرافية البشرية وتطورها في اواخر القرن التاسع عشر ، حيث حددوا مفهوما واتبعوا الاساليب العلمية في بحوثها كما يعود لهم الفضل في ربط الجغرافية البشرية بالعلوم الطبيعية ، ولذا اصبحت الاساس الطبيعي فيما بعد ضروري في كل دراسة في الجغرافية البشرية .

(١)

Semple, In flances of Geographic Environment, on Ratzel's system of Anthro-Geography, New York, 1911, P. 1.

وراجع ايضا : فريمان ، قرن من التطور الجغرافي ، ترجمة شاكر خصباك ص ١١٠ - ١١٦ وراجع ايضا :

Tatham, Environ. and possib., P. 138.

(٢) للاطلاع على هذا الموضوع راجع : راشد براوي ، مفاهيم جديدة في الاشتراكية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١١ ، ٢٢ وراجع ايضا .
الياس فرح : تطور الفكر الماركسي ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٤١

ترجع جذور هذه الاراء الى فترة ما قبل الميلاد حيث ظهرت في كتابات ايراتوسين (القرن الثالث ق م) وشيشرون (القرن الاول ق م) . كما ظهرت باشارات سريعة في كتابات بعض الجغرافيين الحتميين مثل راتزل وسامبل . . . الخ (١) . الا ان ما ورد في هذا الخصوص لم يؤكد او يطور الا في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، اذ ظهرت في كتابات الجغرافيين الفرنسيين ، نتيجة اهتمامهم بدراسة تاريخ الانسان وحضارته . فقد اكدوا على تأثير الجماعات البشرية على تغيير مظهر البيئة الطبيعية ، وفقا لمستواهم الحضاري وبكلمة ادق ، اعتبروا الحياة الفكرية الواعي الاجتماعي - المسؤول الاول الذي يؤثر في العلاقات بين الجماعات البشرية وبيئاتهم الطبيعية ، ومعنى ذلك ان تطور المجتمع لا يعود الى الطبيعة ، بل يكمن في المجتمع نفسه ، في التناقضات الداخلية الملازمة (٢) . ويمكن تلخيص اهم هذه الاراء بما يلي : -

١ - رفضوا ان يكون الانسان خاضعا لعناصر الطبيعة ، فهو ليس نبتة استعبدتها الطبيعة ، اذ ان الانسان في ذاته غريزة للتطور ، تجعله يشكل عنصرا فعالا في التأثير على مظهر البيئة ، من خلال تغييره لهذا المظهر وتشكيل ما ليس موجود في الطبيعة سابقا كالطرق والمساكن والمصانع . الخ . وظاهرات تتطور بمرور الزمن وفقا للقوانين الطبيعية كالانهار المتفرعة من شط العرب التي انشاها الانسان وتطورت وفقا لظاهرة المد والجزر . اما في مجال تغيير مظهر البيئة فقد تمكن من اتلاف ٣١٠٠ مليون هكتار مسن الغابات وتجفيف ٥٠ - ٦٠ مليون هكتار من الاراضي التي كانت مغمورة

(١) عبدالفتاح وهيبه ، جغرافية الانسان ، ص ٢١ وراجع ايضا :
Tatham, P. P. 63- 143.

(٢)
R. G. Harrison, The Franch School of Geography, Geo. in 20th.
Cen., P. 79.

وراجع ايضا : افاناسييف ، اسس الفلسفة الماركسية ، ص ٧٥ ، ١١٩

وراجع ايضا :
Money, P. C., introduction to Human Geography, London, 1967,
P. 311.

بالمياه وتحويل ٣٦٠٠ ميل ٢ من الاراضي الصحراوية الى زراعية (١) اضافة الى تأثيره النسبي على المناخ الذي يظهر بمقارنة حرارة هواء المدن الكبيرة او الواحات مع المناطق المجاورة لهما . وتأثيرات عديدة اخرى على الحياة النباتية وحيوانية والتربة والمياه الجوفية والمعادن والمياه والهواء . وفي هذا المجال يذكر اداباشيف : ان التكنيك الحديث وصل الى درجة من الجبروت يمكن البشرية من تنفيذ اي مشروع لتغيير الطبيعة (٢) .

٢- ان البيئة تتضمن امكانات Possibilities وليست ضرورات Necessities كما انها تسمح ولا تجبر. It permits, but does not combine
او كما عبر عنها لابلش بانها لا تزيد عن كونها عاملا موجها
Nature is never more than an adviser (٣)

اي ان للانسان الحرية في الاختيار من امكانات البيئة ما يناسبه وفقا لمستواه الحضاري (X) . وهذا يعني ان وجود احدى الشروات - الامكانات - في بيئة معينة لا يستوجب بالضرورة استخدامها في ميدان محدد ، حيث يتوقف ذلك على المستوى الحضاري للجماعة . فمثلا كان الزوج في اقليم كاتانجا - في افريقيا - يستخدمون البورانيوم في صناعة الاصباغ المحلية ، ولكن عندما نزلت الاقليم جماعة ذات مستوى حضاري اعلى - الشركات الاجنبية - اخذت

(١) محمد حمدي ، الجغرافية التجارية / الاقتصادية والبشرية ، ط ٥ / القاهرة ، ١٩٢٤ ص ٢٠٦/١٩٨ .

(٢) اداباشيف ، الانسان يصلح كوكبه ، دار التقدم ، موسكو ، ص ٤٠ (٢)

Davis, P. H., The Earth and Man, Human Geography, 5th. impre., New York, 1957, P. 18.

وراجع ايضا :

لوسيان فيفر ، الارض والتطور البشري ، ترجمة محمد السيد غلاب، (لم تذكر سنة الطبع) القاهرة ، ص ٧

وراجع ايضا :

V. de La Blache, Principle of Human Geography, Trans. from Franch by Bingham, London, 1959, P. 321.

(X) المقصود بالحضارة اسلوب الحياة المادية والفكرية . راجع عن مركبات الحضارة : محمد رياض ، الانسان دراسة في النوع والحضارة ، ط ٢ القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٧١ ، ٣٣٤

تستخدمه في صناعة القنابل الذرية (١) . وعلى العكس من ذلك نلاحظ في الدينمارك ، حيث تمكنت الحكومة من تغيير استغلال الارض ، من انتاج القمح الى الالبان ، اي بعد ان عرفوا طرق استغلال الارض ، تمكنوا من اختيار واحد من هذه الطرق وفقا لما يناسبهم ووفقا لمستواهم الحضاري . وفي الحقيقة ان افتقار السكان الى جواب - كيف نعرف ؟ - والتي تدل على انخفاض مستواهم الحضاري ، هي التي لاتمكنهم من استغلال بعض امكانات بيئتهم . (٢)

٣- ان امكانات البيئة تختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر . فاذا كانت ظروف البيئة ملائمة فأنها تقدم عدة امكانات يتوقف استغلالها على المستوى الحضاري للجماعة ، اما اذا كانت غير ملائمة فأن الجماعة تقف امام طريقين ، اما التنقل المستمر ، كما هو الحال بالنسبة للجماعات البدائية المتنقلة ، او بذل الجهود والتغلب على قساوة البيئة كما هو الحال في اليابان والنرويج مثلا . وفيما يخص اختلاف الامكانات من زمن لآخر ، نلاحظ ان الطاقة المستخدمة في الانتاج كانت في البداية متمثلة بطاقة الانسان ثم طاقة الحيوان والنار والرياح والمياه ثم الفحم والبتروك والطاقة الشمسية والكهرومائية والكهرومدي واخيرا الطاقة الذرية وذلك وفقا لتطور المستوى الحضاري .

٤- درس الامكانيون البيئة على انها بيئة جغرافية وليست طبيعية ، حيث ادخلوا الى جانبها الطبيعي ، نتاج الجماعات البشرية في بيئاتها . صحيح ان قوة الجماعات البشرية ، شيء غير مادي ، الا انه يعبر عن نفسه بآثار مادية تترك على سطح الارض . ونتيجة لذلك فسرت الظواهر على ضوء العوامل البشرية وتطورها التاريخي بدرجة اكبر من العوامل الطبيعية التي يلجأ اليها الحتميون كأقصر سبيل لذلك . وبكلمة اخرى اعطوا اهمية للعادات والتقاليد والمعتقدات في تفسير العلاقات ، فحيثما توجد جماعة بشرية توجد ايضا افكار تدخل باستمرار في توجيه علاقة الجماعة ببيئتها

(١) احمد نجم الدين ويسري الجوهري ، افريقية ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٩ .

(٢) Money, introduction to Human Geography, P. 312.

الطبيعية (١) . ولذا فان تطور المجتمع لا تفسره البيئة الطبيعية بل النظام الاجتماعي السائد ، فمثلا على الرغم من عدم تغير البيئة الطبيعية في العراق خلال الـ ٥٠ سنة الماضية الا انه مر بمرحلتين تطورية هما الاقطاعية والاشتراكية اخيرا . وبناء على ذلك ذكروا بأن تشابه البيئات الطبيعية لا ينتج بالضرورة انماط بشرية متشابهة ، واذا حدث ذلك فانه لا يعود الى تشابه البيئات بقدر ما يعود الى تشابه امكاناتهما والمستويات الحضارية للجماعات القاطنة فيهما . مثال ذلك تشابه البيئات الطبيعية لكل من النمسا وجيكوسلوفاكيا الا ان مجتمعاتهما مختلفة التطور ، تبعا لاختلاف التنظيم الاجتماعي فيما بينهما .

ويبدو مما سبق بان معظم الاراء الحتمية تنطبق على الجماعات البدائية التي تسكن بيئات طبيعية قاسية . في حين تنطبق معظم الاراء الامكانية على الجماعات المتحضرة التي تسكن بيئات غنية الموارد . ويمكن ان نلخص ارائهما حول علاقة الجماعات البشرية ببيئتها بالعبارة التالية : ان الجماعات البدائية ، تكون كقطرة زيت في الماء طافية على سطحه ، لا يمكنها التوغل في البيئة التي تسكنها ، بتغير شكلها بتحريك سطح الماء . اما الجماعات المتحضرة ، فتكون كقطرة حبر في الماء ، تتوغل نحو جميع جهات بيئتها وتغيرها (٢) .

كما يبدو مما سبق ان الاراء الامكانية غالبا ما تؤكد على تأثير الجماعات البشرية في بيئاتها والحقيقة انها لا تؤثر الا على مظهر البيئة او معالم البيئة Environment Landscape كما ان عناصر البيئة ليست على درجة واحدة من الاستجابة لتأثير الجماعات ، وتتمثل اكثر العناصر تأثرا ، بالغطاء المائي والنباتي والحيواني ودرجة اقل التضاريس والمناخ والتركيب الجيولوجي وحتى هذا التغير اذا لم يكن متفقا مع القوانين الطبيعية فانه يعود الى حالته الطبيعية ثانية بمجرد زوال المؤثر - الجماعات البشرية - مثال ذلك انشاء الخزانات المائية التي تنظم بمرور الزمن نتيجة تراكم الرواسب . كما ان الجماعات البشرية لا تؤثر على القوانين الطبيعية

(١) Brunhes, J., Human Geography, Tran. from Franch by Row, London, 1952, P. 27.

La Blache, P. 327.

وراجع ايضا :

(٢) داود جاسم الربيعي : قضاء الزبير ، دراسة في الجغرافية البشرية ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٧

ابدا سوى ابطاء عملها او اسرعه او تغيير شكلها ذلك لانها نشأت مستقلة عن ارادة الانسان مثال ذلك ، بناء السدود عند الحافة الجنوبية لهور الحمار بهدف كشف واستثمار البترول في اجزاءه الجنوبية ، ادى ذلك الى عدم تعرض منطقة الحوض المقعر الممتد بين ضفاف شط العرب الغربية وبين الحافة الجنوبية الشرقية للهبية الصحراوية ، لطغيان مياه فيضانات هور الحمار على هذا الحوض الذي كانت تغمره المياه قبل بناء هذه السدود .

كما لم ينكر الامكانيون اهمية البيئة الطبيعية الا انهم رفضوا حتميتها ، فغالبا ما يؤكد الامكانيون على تأثير الجماعات البشرية المتمثل باستزراع الاراضي وانشاء المدن . . الخ . ولكن الحقيقة ان الاشجار ، صحيح يزرعها الانسان الا ان بذورها ونموها ظواهر طبيعية كذلك المدن ، صحيح انها ظواهر بشرية الا ان مواد بنائها من الطبيعة . هذا اضافة الى انه ليس للانسان كل الحرية في تغيير او استغلال امكانات بيئته ، اذ هي ما زالت تمنع حدودا لم يستطع ان يتعداها ، فالى الوقت الحاضر لم يستطع الاستيطان على قمم الجبال وفي المناطق القطبية المتجمدة والمناطق الحارة الجافة ، الا في حالة وجود ما يغري على الاستيطان ويغطي تكاليف عيشه فيها مثال ذلك قيام مدن البترول في الصحراء العربية ومدن الذهب في صحراء استراليا ولكن بمجرد نفاذ هذه الموارد تهاجر الجماعات البشرية تلك المدن رغم تطورها الحضاري، وقد حدث ذلك بالنسبة الى مدينة كالجورلي وكولفاردي في صحراء استراليا الجنوبية الغربية .

واخيرا لم يحاول الامكانيون وضع نظريات في الجغرافية البشرية كالذي طمح اليه الحتميون ذلك لقيام ارائهم على ظواهر بشرية متغيرة وقد ادى ذلك الى قلة النظريات في الجغرافية البشرية كما حذروا من وضع القوانين والعموميات في دراساتهم التي اتبعت المنهج الاقليمي بدرجة اكبر من المنهج النظامي . كما ظهر نوع من التخصص في دراساتهم نحو فروع الجغرافية البشرية كالاتجاه التاريخي الذي مثله دربي وروجيه ديون والاتجاه الاقتصادي - بيار جورج - والاتجاه السكاني - ماكس ويراو - (١) .

(١)

Haggett, P., locational analysis in Human Geography, London, 1969, P. 24.

وراجع ايضا :

صلاح الدين عمر باشا واديب باغ ، الوجيز في الجغرافية البشرية والاجتماعية ، دمشق ، ١٩٦٥ ، ص ١٧ - ٢٠ .

ظهرت هذه الآراء بعد ظهور النظرية الماركسية التي أثرت على الفكر الجغرافي في الدول الاشتراكية ، حيث استمدت مبادئها من تلك النظرية وتبلورت هذه الآراء من خلال اهتمام الجغرافية الاقتصادية (X) بدراسة العوامل المؤثرة على تطور المجتمع ، مؤكدة على أهمية أسلوب الانتاج - كظاهرة بشرية - عند دراسة العلاقات بين الجماعات البشرية وبيئاتها الطبيعية . ويمكن توضيح أهم مبادئها بما يلي :

أ - ان الحياة المادية للمجتمع ، هي التي تحدد حياته الفكرية ، فلكي تعيش الجماعات البشرية لابد ان تنتج اولا غذاؤها وملبسها ومسكنها ، قبل ان تهتم بالفلسفة والدين والفن الخ (١) وبكلمة اخرى ان العلاقات بين الجماعات البشرية وبيئاتها تحدد الحياة المادية - الوجود الاجتماعي - قبل الحياة الفكرية التي وضعها الامكانيون بالمرتبة الاولى عند دراسة تلك العلاقات .

٢ - اعطت أهمية كبيرة للبيئة الطبيعية من خلال كونها مصدر المودا الاولى ، اللازمة للانتاج الذي هو سر تطور المجتمع ، وفي كونها المسرح الذي تقوم عليه حياة المجتمع . الا انها في نفس الوقت رفضت حتمية الطبيعة ، في هذا التطور اي عند دراسة العلاقات ، حيث يقتصر تأثيرها على سرعة او ابطاء شكل هذا التطور (٢) . فالبيئة الملائمة تساعد على سرعة التطور عكس البيئة غير الملائمة . صحيح ان التقدم التكنولوجي يمكن من استغلال مختلف الموارد من مختلف البيئات الا ان الامر في النهاية مرتبط

(X) تدرس الجغرافية في الدول الاشتراكية من وجهتين الاولى اقتصادية والثانية طبيعية ، وتدرس الجغرافية البشرية كفرع من الجغرافية الاقتصادية . ويؤكد الجغرافيون البشريون في دراساتهم على الجوانب السكانية من الوجة الاقتصادية .

(١) الياس فرح ، تطور الفكر الماركسي ، ط/٣ ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٣٤ .

ص ٣٤ .

راجع ايضا :

افاناسيف ، اسس الفلسفة الماركسية ، ص ١٥١ ، ١٦٧ .

(٢) افاناسيف ، ص ١٦٤

٤ - يتوقف مدى تأثير الجماعات البشرية على بيئاتها الطبيعية وبالتالي في تطورها على خصائصها الحضارية والديموغرافية . لقد كان تأثير البيئة الطبيعية على الانسان في بداية حياته اكبر مما عليه الان . وحتى من خلال النباتات والحيوانات التي كان يعتمد عليها في انتاج الخيرات المادية ، ولكن نتيجة لتطور حضارته التي أدت الى تطور انتاجه ، تمكن فيما يخص هذا المجال ، من ايجاد انواع من النباتات والحيوانات المستنبطة ، مستقلة نسبيا عن تأثير البيئة الطبيعية . اما ما يتعلق بخصائصه الديموغرافية ، فمهمة ايضا في تطور المجتمع من خلال عملية الانتاج وبالتالي في التأثير على البيئة الطبيعية ، وهذه الاهمية كانت كبيرة جدا في بداية حياة الانسان ، ولكن يتطور حضارته قلت اهميتها بصورة نسبية . فعدد السكان مثلا كان له اهمية كبيرة في عملية الانتاج لاعتمادها على قوى الانسان العضلية انذاك ، اما وقد تطورت حضارته فقد اصبح اعتماد عملية الانتاج مركزه على قوى اخرى اكبر واسهل استخداما من قوة الانسان العضلية . وبناء على ذلك لايمكن اعتبار كثافة السكان وحدها قوة مقررّة في تطور المجتمع ولا ادل على ذلك من اختلاف تطور السكان في كل من الباكستان والولايات المتحدة علما ان كثافتهم في الاولى ٩٠ نسمة/كم^٢ وفي الاخيرة ٢٣ نسمة / كم^٢ (١) .

ويبدو واضحا مما سبق بأن هذه الاراء ، لاتعتبر البيئة الطبيعية او عدد السكان عوامل مقررّة لتطور المجتمع بل اسلوب الانتاج المادي ، الذي يحدد تطور المجتمع وتركيبه وافكاره ومؤسساته الاجتماعية كما يشترط تحولاته ، اضافة الى كونه يحدد مدى العلاقة المتبادلة بين المجتمع وبيئته الطبيعية (٢) . كما يبدو ان هذه الاراء قد اتفقت مع الحتمية حول اهمية البيئة الطبيعية في حياة الجماعات البشرية من خلال عملية الانتاج الا انها رفضت حتمية الطبيعة . كما انها تتفق مع الاراء الامكانية في مبداءها العام، الا انها اختلفت عنها في التفاصيل ، حيث اعطت اهمية كبيرة للجماعات البشرية في التأثير على البيئة الطبيعية ، لكنها اختلفت عنها في كون الامكانية تؤكد على اهمية الحياة الفكرية للجماعات عند دراسة علاقاتها مع بيئاتها الطبيعية ، في حين أكدت الاراء المادية على اثر اسلوب انتاج الخيرات المادية - الحياة المادية - عند دراسة تلك العلاقات .

(١) افاناسييف ، اسس الفلسفة الماركسية ، ص ١٦٦ .

(٢) كونستانطينوف ، ص ٩ .

وعلى ضوء ماتقدم ، نعتقد بأنه لا بد من تفسير الظواهر الجغرافية عند دراسة العلاقات على اساس مسبباتها الاصلية سواء كانت هذه المسببات عناصر في الحياة المادية او الفكرية ، وذلك وفقا لما هو سائد في منطقة البحث . وفي الحقيقة ان ايا من الجغرافيين يمكن ان يكون حتميا او امكانيا او ماديا وذلك تبعا لمقدار جهوده المبذولة للتحري عن مسببات الظاهرة التي يدرسها ، فأسهل تفسير يمكن ان يتم على ضوء عناصر البيئة الطبيعية ولكن اسلم تفسير يتم على ضوء تظافر عناصر الحياة الفكرية والمادية الموجودة فعلا في منطقة البحث اضافة الى العناصر الطبيعية . وبناء على ذلك ، يمكن ان نضع نواة لمدرسة عربية تقوم على اساس تفسير الظواهر الجغرافية وفقا لمسبباتها الفعلية أملين ان يساهم الجغرافيون العرب في توسيع وتثبيت مبادئها

وقبل ان ننهي اللمحة التاريخية الآتية الذكر لنشؤ وتطور الجغرافية البشرية من خلال ارائها الفكرية ، نود ان نشير الى ما تسمى بالآراء النهلستية او العدمية Nihilism (x) التي تؤكد على ان البيئة الطبيعية لا تؤثر على الجماعات البشرية في اي حال من الاحوال (١) . وبالطبع لا تتفق مع هذه الآراء التي سرعان ما اضمحلت بعد فترة قصيرة من ظهورها ، لكون عناصر الطبيعة ضرورية جدا للوجود البشري . وعلى ضوء ما تقدم يمكن متابعة تعريف وميدان الجغرافية البشرية ، اضافة الى امكانية تحديد موادها وهدفها . .

(x) ظهر هذا المصطلح في روسيا خلال الربع الاول من القرن التاسع عشر . ولم يستعمل على نطاق واسع الا بعد ١٨٦٠ واول من استخدمه بازاروف في الحقل السياسي ثم شاع استخدامه في اوربا وامريكا في حقول اخرى كالدين والاجتماع والجغرافية . راجع :

(١) Kalesnik, S. V., General Geographic regularities of the earth, Mosco, 1970, P. 212.

وراجع ايضا :

Paul Edward, The Encyclopedia of Philosophy, Macmillan publishing Co., London, 1972, Vol. 5., P. 514.

تعريف الجغرافية البشرية

لقد مر تعريف الجغرافية البشرية بمراحل مختلفة ، وفقا لاختلاف الآراء الفكرية التي ظهرت فيها خلال فترات مختلفة من تطورها . ففي بداية نشأتها عرفت ، على أنها دراسة تأثير البيئة الطبيعية على حياة البشر . ولكن بعد ان تعددت فكرتها ، أصبحت تعرف على أنها دراسة علاقة البيئة الطبيعية بحياة الانسان (١) . ويؤخذ على هذا التعريف عدم وجود انسان مجرد يتعامل مع الطبيعة ، بل يتعامل معها من خلال وجوده في المجتمع ، ولذا فالجغرافية البشرية لا تدرس انسان مجرد او كما قيل لا تدرس آدم في حديقة الجنة بل تدرس الجماعات ، كما ان هذا التعريف لم يوضح دور الجماعات البشرية ، في تغيير وتعديل البيئة التي تسكنها ، اضافة الى تجاهله هدف وميدان الجغرافية البشرية . ويبدو من هذا التعريف ايضا ما ينم عن الآراء الحتمية التي كانت سائدة خلال نشأة الجغرافية البشرية . ولكن ما نضجت الافكار الامكانية في بداية القرن العشرين حتى عرفت على انها دراسة الجماعات البشرية في علاقاتهم مع بيئاتهم الجغرافية (٢) ، وفي هذا التعريف تأكيد على جانبين الاول هو ابراز دور الجماعات البشرية في بيئاتها والثاني اعتبار البيئة ، جغرافية وليست طبيعية ، أي ادخل الى جانب العناصر الطبيعية أثر الجماعات البشرية في تغيير هذه البيئة . ومما يؤخذ على هذا التعريف اهماله العلاقات المتبادلة القائمة بين الجماعات البشرية وبيئاتها حيث اكد فقط على دور الجماعات البشرية في بيئاتها ، كما اهمل هدف الدراسة . وقد عدل هذا التعريف الى دراسة العلاقات المتبادلة بين الجماعات البشرية وبيئاتها الجغرافية ، الذي ظل مأخوذا به الى الوقت الحاضر تقريبا . ولكن حتى هذا التعريف يمكن ان يؤخذ عليه ما يلي :

١ - انه يوحي الى ان الجغرافية البشرية ، تدرس فقط العلاقات

المتبادلة كهدف اساس لها دون الاشارة الى نتائج هذه العلاقات

وبكلمة اخرى اهمل التعريف الجوانب العملية او هدف دراستها .

٢ - ان مفهوم البيئة يشمل جميع اجزاء سطح الكرة الارضية (×) .

والمعروف ان البشر وان أثروا في الاجزاء غير المأهولة من هذه

(١) يمكن ملاحظة هذه التعاريف من خلال الاطلاع على مفهوم الجغرافية

البشرية في مؤلفات الجغرافيين الحتميين المذكورين انفا . راجع :

G. Tatham, Environment. and possibl., P. P. 131-151.

وراجع أيضا : محمد السيد غلاب ، البيئة والمجتمع ، ص ٢٤ - ٣٤

Harrison, The Franch School of Geo., P. P. 79-84.

(٢)

(×) راجع : ميدان الجغرافية البشرية .

البيئة ، كالقمم الجبلية والقارة القطبية الجنوبية ٠٠ الخ الا
ان تأثير هذه الاجزاء على الجماعات البشرية لا يكاد يكون ملموسا .

ورغم تكرار التعريف السابق في معظم المؤلفات العربية في الجغرافية
البشرية الا انه لوحظ وجود تباين نسبي بين التعاريف التي وردت في المؤلفات
الاجنبية خلال النصف الثاني من هذا القرن وذلك تبعا لاختلاف الجغرافيون
حول مفهوم الجغرافية البشرية وهدفها فمثلا عرفها دكن Dicken (١)
على انها دراسة السكان ونشاطاتهم وبيئاتهم وحضاراتهم في فترة زمنية
معينة . ويؤخذ على التعريف عدم اشارته لهدف الدراسة كما لم يعطيها
البعد التاريخي المطلوب لتفسير الظواهر . اما برون Brunhes (٢)
فقد عرفها بدراسة الظواهر البشرية التي تؤثر في الطبيعة ، في نفس الوقت
الذي تتأثر بها . ويؤخذ على التعريف ، عدم اشارته الى ميدان الجغرافية
البشرية ، اضافة الى عدم تحديده لهدف هذه الدراسة . كما عرفها هنتكتون
Huntington (٣) على انها دراسة طبيعة وتوزيع العلاقات بين البيئة
الجغرافية ونشاط وقدرات البشرية . وهذا التعريف كسابقه ، لم يشر الى
السكان بصورة مباشرة ، كما تضمن البيئات المأهولة وغير المأهولة التي تقع
ضمن البيئة الجغرافية . اما جونز Jones (٤) فقد عرفها بدراسة
مظهر الارض الناتج عن تفاعل الحياة البشرية مع البيئة الطبيعية . لقد
حدد هذا التعريف ميدان ومواد الجغرافية البشرية الا انه اهمل الإشارة
الى هدفها . وقد ظهر في الفترة الاخيرة ما يعرف بعلم الارض البيئي
Environmental Geo-Science الذي استخدم مرادفا للجغرافية
البشرية ، حيث يشبهها من حيث بعض موادها وميدانها (٥) . كما ظهر

(١)

Dicken and Pitts., introduction to Human Geography, P. 26.

(٢) ج ٠ ر ٠ كرون ، اعلام الجغرافية الحديثة ، ترجمة شاكر خصباك ،
بغداد ، ١٩٦٤ ، ص ٦٧

(٣) دولت صادق وآخرون ، اسس الجغرافية البشرية ، ج ٢ / ٢ ، القاهرة ،
١٩٧٥ ، ص ٢٥٣

(٤) Jones, Human Geography, London, 1969, P. 13.

(٥)

Strahler A.N. & H. Strahler, Environmental Geo-Science, New
York, 1973, p.p. V. 6.

اخيرا ما يعرف بجغرافية الطبيعة الحيوية Biophysical Geography التي تشبه الجغرافية البشرية من حيث موادها وفرعها وميدانها وبعضاً من اهدافها (١) . وعلى ضوء ما تقدم من تعاريف للجغرافية البشرية يمكن ان نعرفها بما يلي : - دراسة العلاقات المتبادلة بين عناصر البيئة الجغرافية البشرية ، لتحديد مواردها ومشاكلها والاسهام في حل تلك المشاكل . وعند مناقشة هذا التعريف نستشف مايلي : -

١ - انه حدد مواد دراسة الجغرافية البشرية بالعلاقات المتبادلة بين عناصر البيئة الجغرافية البشرية Socio-Geographical Environment (×) - لاحظ شكل رقم (١) . وبكلمة اخرى ، دراسة العلاقات المتبادلة بين الجماعات البشرية وبيئاتهم الطبيعية المعدلة Humanised natures بواسطة الجهود البشرية .

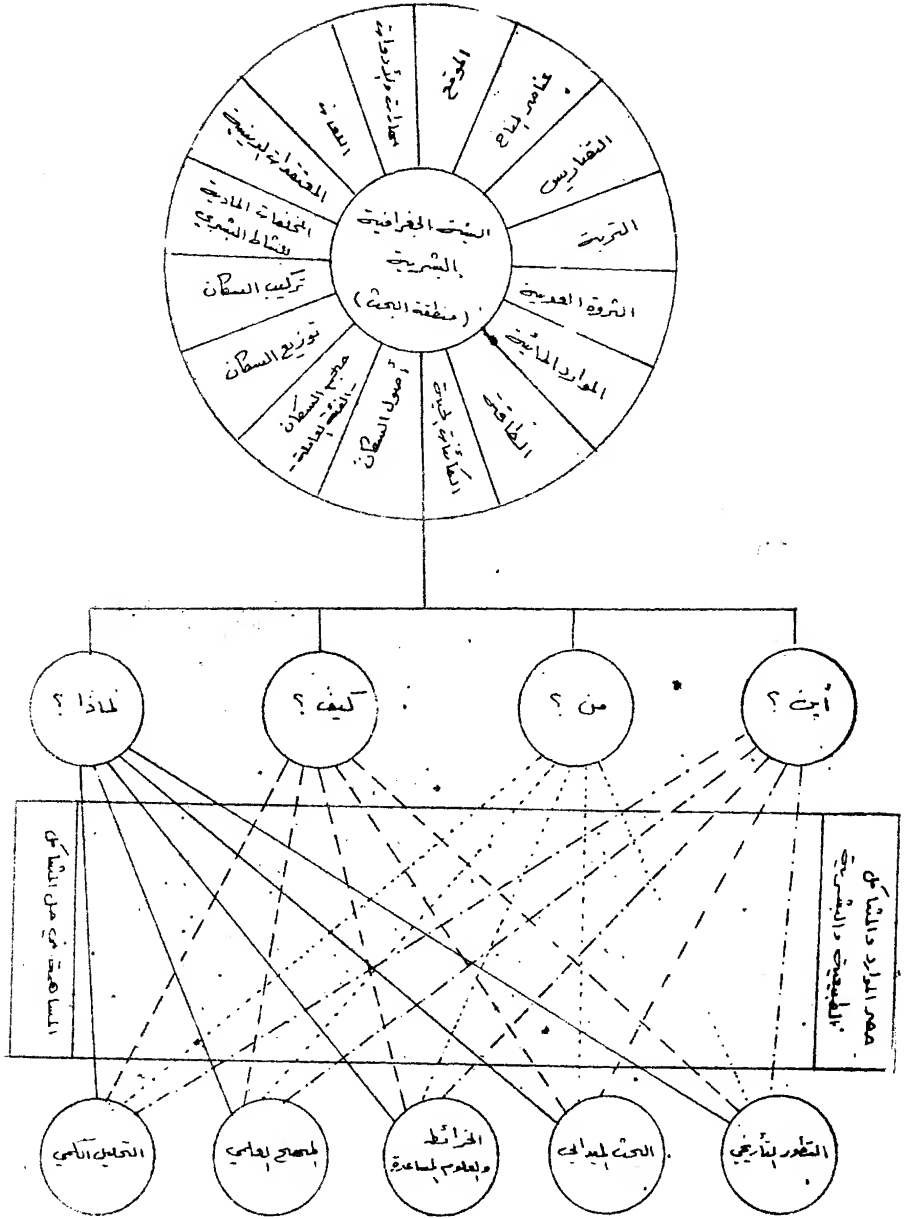
٢ - حدد ميدان الدراسة ، بالبيئة الجغرافية البشرية فقط . اي المناطق المأهولة التي لها علاقة مباشرة بحياة الجماعات البشرية - لاحظ ميدان الجغرافية البشرية - .
٣ - وضع التعريف هدف الدراسة ، المتمثل بحصر موارد ومشاكل تلك البيئة والاسهام في حل مشاكلها .

(١)

Jan O. M. Broak & John W. Webb, a Geography of mankind
Sec. Edit., London, 1973, P. 7.

(×) الترجمة الحرفية للمصطلح (البيئة الجغرافية الاجتماعية) ولكننا فضلنا استخدام كلمة - البشرية - على ضوء تفضيل الفكر الجغرافي لمصطلح الجغرافية البشرية على الجغرافية الاجتماعية .
راجع : قرن من التطور الجغرافي ، ترجمة شاكر خصباك ، ص ٢٦ .
راجع ايضا : ميدان الجغرافية البشرية .
وراجع ايضا :

Watson, The Sociological aspect of Geography, P. 463.



شكل (١٠)

يوضح مادة وميدان ومنهج وهدف
الجغرافية البشرية

ميدان الجغرافية البشرية

يتحدد ميدان الجغرافية عموما بالبيئة الجغرافية او ما يسمى ، بالغلاف الجغرافي (Geographical shell (Envilope) (×) الذي يشمل منطقته التمام ، الغلاف الصخري والمائي والجوي والحيوي ، المتمثلة بالطبقة السفلى من الغلاف الجوي وجميع المياه في البحار والمحيطات والجزء العلوي من القشرة الارضية . وبكلمة ادق يشمل جميع المناطق التي لها علاقة مباشرة وغير مباشرة بالجماعات البشرية ، اي المناطق المأهولة وغير المأهولة بالسكان . وتوجد تقسيمات مختلفة لهذه البيئة ، بناء على مدى تأثرها بالنشاط البشري : فقسماها أنوجن Anuchin (١) الى أربعة اقسام بناء على مدى تأثرها المباشر وغير المباشر بالنشاط البشري .

١- المناطق التي لم تتأثر مباشرة بالنشاط البشري ، وظلت تتطور تحت تأثير القوانين الطبيعية ، كقمم الجبال والمناطق القطبية وقيعان البحار والمحيطات والصحاري الحارة الجافة .

٢- المناطق التي تأثرت بصورة غير مباشرة بالنشاط البشري ، وظلت تحت تأثير القوانين الطبيعية ، وتظهر فيها قليل من الآثار المادية للجماعات البشرية ، بصورة محدوده جدا . وتشمل المناطق التي تنتقل فيها الجماعات البدائية .

٣- المناطق التي تأثرت بصورة مباشرة وغير مباشرة بالنشاط البشري وظلت تحت تأثير تفاعل القوانين الطبيعية والاجتماعية وتشمل معظم المناطق المأهولة من سطح الارض .

(× ×) اول من استخدم مصطلح الغلاف الجغرافي ، برونوف عام ١٩١٠ ثم شاع استعماله فيما بعد . وقد استخدمه زابلين كمرادف للبيئة الجغرافية . كما اعتبره ماركوف مرادف للغلاف الحيوي ويحدد سمك هذا الغلاف بين طبقة الاينوسفير الى الطبقة الارضية التي تسمح بعيش ابسط الكائنات الحية للاطلاع على هذا الموضوع راجع : علي عبد الكريم ، ماذا نعني بالغلاف الجغرافي مجلة كلية الاداب ، العدد ١٣ السنة ١٩٧٨ ص ١٥٢ .

Anuchin, V. A., Theory of Geography, No. 3, P. 47.

(١)

٤ - المناطق التي تأثرت بصورة مباشرة بالنشاط البشري، وظلت تنطور تحت تأثير القوانين الاجتماعية اضافة الى الطبيعية وتشمل مراكز الاستيطان الثابت .

نستشف من هذا التقسيم ان هناك نوعين من البيئات ، الاولى متأثرة بالنشاط البشري مباشرة والاخرى بصورة غير مباشرة . وتقسم البيئة الجغرافية الى قسمين ، بناء على مدى تأثرها بالنشاط البشري (١) .

أ - البيئة غير المتأثرة **Unoperational Environment** ، وتشمل المناطق غير المتأثرة بالنشاط البشري . وفي الحقيقة لا توجد اية منطقة من سطح الارض غير متأثرة بالنشاط البشري سواء كان التأثير مباشر او غير مباشر . فحتى القارة القطبية الجنوبية تأثرت بالكربون الناتج عن النشاط البشري ، الذي نقل اليها بواسطة الدورة العامة للرياح من مراكز الاستيطان البشري .

ب - البيئة المتأثرة **Operational Environment** . وتشمل المناطق التي أثرت فيها الجماعات البشرية بأية طريقة كانت ، ومفهوم هذه البيئة يشبه مفهوم الغلاف الجغرافي او البيئة الجغرافية وتسمى البيئة المتأثرة التي يحسها الناس بالبيئة المحسوسة او المعقولة **Perceptual environ., conceptual environment**

وتوجد تقسيمات عديدة للبيئة الجغرافية (الغلاف الجغرافي) (٢) يمكن ان نستخلص منها التقسيم الاتي (٣) :

Ibid, P. 46.

(١)

وراجع ايضا :

(٢) علي عبد الكريم ، ماذا نعني بالغلاف الجغرافي ، مجلة كلية الاداب ، العدد ١٣ ص ١٥٢ .

Anuchin, theory of Geography, P. 50.

(٣)

١ - البيئة الجغرافية الطبيعية Natural Geographical Environment

وتشمل اللاندسكيپ الطبيعي او العذراء Virgin Environ. وهي تشمل البيئات التي لم تمتد اليها يد الانسان بصورة مباشرة ، وبكلمة ادق تشمل المناطق غير المأهولة ، والمتأثرة بصورة غير مباشرة بالنشاط البشري كالمناطق الحارة الجافة والقارة القطبية الجنوبية والقمم الجبلية .

٢ - البيئة الجغرافية البشرية Socio-Geographical Environment

وهي مرادفة لمفهوم اللاندسكيپ الحضاري والمحيط الجغرافي ، وتشمل المناطق المأهولة بالسكان، المتأثرة مباشرة بالنشاط البشري . وتشمل هذه البيئة الميدان المميز الواسع لبحوث الجغرافية البشرية . واهم صفاتها (١) :-

أ - هي البيئة التي يعيش فيها حاليا المجتمع البشري ، وتشكل جزء من البيئة الجغرافية .

ب - هي البيئة التي عدلت Humanised بواسطة النشاط البشري المباشر ، الذي ترك آثاره المادية عليها بصورة واضحة .

ج - هي البيئة التي استخدمت بعض عناصرها المادية في الانتاج ، وبالتالي في تطور المجتمع ، وبكلمة اخرى هي البيئة التي توجد فيها الوسائل المادية لتطور المجتمع .

د - هي البيئة التي تتغير تبعا لتطور المجتمع الناتج عن تطور حضارته وبالتالي تطور وسائل انتاجه ، ولذا تتصف هذه البيئة، بالتطور التاريخي ، وفقا لتطور حاجات المجتمع ووسائل انتاجه .

هـ - هي البيئة المكونه من مركب معقد من العناصر الطبيعية والبشرية ومن النتائج المادية للتأثيرات المتبادلة بينهما . لاحظ شكل رقم (١) .

ويبدو مما سبق ان البيئة الجغرافية البشرية التي تمثل ميدان بحوث الجغرافية البشرية ، ما هي الابيئة مأهولة بالسكان الذين عدلوا من صفاتها الطبيعية بواسطة نشاطهم الذي استخدم بعض عناصرها في عملية الانتاج .

مواد الجغرافية البشرية

في بداية نشؤ الجغرافية البشرية ، كان موضوعها الرئيس متمثلا بوصف الجماعات البشرية دون الاهتمام بدراسة عناصر بيئاتها الطبيعية . واستمرت هكذا الى ان تعددت فكرتها في اواخر القرن التاسع عشر ، حيث اولى الاهتمام بدراسة عناصر البيئات الطبيعية التي تسكنها الجماعات البشرية ، بهدف توضيح تأثيراتها على تلك الجماعات ، تأثرا بتطور العلوم الطبيعية انذاك . ثم اصبحت مواد الجغرافية البشرية متمثلة بدراسة عناصر البيئة الطبيعية والجماعات البشرية والعلاقات القائمة بينهما . الا ان تلك المواضيع عولجت بمفردات واساليب مختلفة ، تبعا لاختلاف الاراء الفكرية بين الجغرافيين ، رغم ثبات محتواها من المواضيع السياسية (x) تقريبا . فمثلا اهتم راتزل ١٨٨٢ - ١٨٩١ في كتابة (جغرافية الانسان) بموضوعين اساسيين هما : توزيع الجماعات البشرية على اساس اللغة والدين والقومية، كما حدد المناطق المعمورة واللامعمورة من سطح الارض ، مفسرا ذلك على ضؤ العناصر الطبيعية . اما الموضوع الثاني ، فتمثل بدراسة عناصر البيئة الطبيعية واثرها على حياة الجماعات البشرية متأثرا في ذلك بنظرية التطور . كما اكد خلال تلك المواضيع على دراسة السكن البشري . في حين حدد هنتكتون ١٨٨٦ - ١٩٤٧ في كتابة (مشاكل الجغرافية البشرية) مواد الجغرافية البشرية بثلاثة مواضيع : عناصر البيئة الطبيعية وعناصر الحياة الاقتصادية واخيرا دراسة الجماعات البشرية من الناحية الحضارية ، مؤكدا على تأثير البيئة الطبيعية على حياة البشر . وكما اختلف الحتميون في مفردات مواد الجغرافية البشرية فكذلك الحال بالنسبة الى الامكانيين فعلى الرغم من دراستهم للجماعات البشرية وبيئاتها الجغرافية الا انهم اكدوا على دور الحضارة والتطور التاريخي في دراساتهم . فمثلا تناول لابلاش في كتابة (اصول الجغرافية البشرية) ١٩٢٢ ثلاثة مواضيع رئيسه : توزيع السكان وكثافتهم ثم اشكال الحضارة واخيرا النقل والمواصلات . ورغم عدم تناوله للبيئة الطبيعية كموضوع رئيس الا انه اعطاها اهمية في دراسته ، باعتبارها تشكل عناصر موطن الجماعات البشرية ، ويبدو ذلك من عبارته ، لاجغرافية بشرية ، دون اساس طبيعي (١) الا ان اتجاهه في دراستها مغاير بالطبع لما تناوله الحتميون .

(x) تشمل السكان والارض .

La Blache principle of Human Geography, P. 3.

(١)

اما ديمانجون ١٨٧٢ - ١٩٤٠ فقد تناول في كتابه (مشاكل الجغرافية البشرية) اربعة مواضيع رئيسة : الجماعات البشرية من حيث تأثيراتها على سطح الارض وثنائياً ، اشكال الحضارات ، ثم توزيع السكان وكثافتهم وهجراتهم ، واخيراً اشكال المسكن . وفيما يتعلق بمواد الجغرافية البشرية عند الجغرافيون الماديون (الماركسيون) فعلى الرغم من تناولهم دراسة الجماعات البشرية وبيئاتهم الطبيعية الا ان التأكيد كان منصب على انتاج الخيرات المادية من خلال دراسة العلاقات المتبادلة بين الجماعات البشرية وبيئاتها الطبيعية . وقد لخص كوفاليف S. A. Kovalev (١٩٦٨) مواضيع الجغرافية البشرية بما يلي : نمو السكان والقوى الفعالة في المجتمع وحركات وتركيب السكان واخيراً اشكال العمران البشري ، وطرق العيش مع التأكيد على الجوانب التاريخية (١) وبكلمة اخرى اكدوا على دراسة السكان من الوجهة الاقتصادية لكون السكان يشكلون احدى العناصر المهمة في الانتاج .

وخلال النصف الاول من هذا القرن، سار الجغرافيون على منهج تختلط فيه الاراء الحتمية والامكانية وقد انعكس ذلك في نفس الوقت على مواد البحث في الجغرافية البشرية ومما يوضح ذلك بريستون جيمس ١٩٤٩ - ١٩٤٩ في كتابه (جغرافية الانسان) حيث شملت مواده على :

آ - الظواهر الجغرافية التي لها علاقة بالجماعات البشرية ونتاجها .

ب - توزيع السكان وكثافتهم .

ج - عناصر التطور الاجتماعي والتنظيمات السياسية .

د - كيفية تأثير الجماعات البشرية على عناصر الوسط المحيط بهم .
ومما يوضح هذا الاختلاط ، هو اهتمامه بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، عند دراسة العلاقات بين الجماعات البشرية وبيئاتهم الطبيعية ، مؤكداً في نفس الوقت على ان الحضارة هي نتاج هذه العلاقات ، وان الانسان هو نتاج الارض (٢) .

وحتى عند الاطلاع على ماهو متيسر من مؤلفات في الجغرافية البشرية، منذ بداية النصف الثاني من هذا القرن ، نجد ان مفرداتها تختلف نسبياً من جغرافي لآخر ، تبعاً لاختلاف الاراء حول مفهومها ، والهدف من دراستها . فمثلاً اكد جونز (٣) على دراسة السكان من الناحية الاثنوغرافية والجغرافية

(١) فاضل الانصاري ، ابحاث في الجغرافية الانسانية ، دمشق ، ص ١٠٠ (السنة غير مذكوره) .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٣) E. Jones, Human Geography, 5th edited, London, 1969. (٣)

والانثروپولوجية ، كما تناول نشاطاتهم الاقتصادية ، وانواع مراكز استيطانهم ، دون التطرق الى الاساس الطبيعي بشكل مستقل . في حين تناول دكن المواضيع التالية : السكان ونشاطاتهم الاقتصادية والمكان (البيئة الطبيعية) مؤكدا في دراسة على عامل التطور التاريخي . اما برييللو (١) فقد اكد على ثلاثة مواضيع : السكان من حيث النمو والتوزيع والكثافة والتركيب ومن حيث كونهم طاقة تستعمل الموارد الطبيعية . والثاني تمثل بدراسة مراكز الاستيطان من ابسط اشكالها الى اعمدها . واخيرا ، موضوع استغلال الموارد الطبيعية في المنطقة المناخية الكبرى . في حين تناول موني (٢) مواضيع مغايره نسبيا ، كدراسة علاقة السكان بالبيئات الطبيعية المختلفة ثم انواع مراكز الاستيطان ووحداتها - المساكن - واخيرا تناول النشاطات الاقتصادية للسكان ، والمشاكل البشرية الناتجة عن نقص الغذاء . اما ديبلج (٣) ، فقد اكد على علاقات السكان بعناصر البيئة الطبيعية ومواردها ثم حركاتهم وانواع حضاراتهم واثرها في العلاقات مع البيئات الطبيعية واخيرا تناول نشاطاتهم الاقتصادية وانماط استيطانهم ومقومات دولهم . في حين اكد كيفين (٤) على دراسة البيئات من حيث درجة غناها بالموارد ، وقدرتها على الاعالة ثم علاقة الجماعات البشرية بالغلاف الجوي والمائي والصخري والحيوي . في حين تناول ديتولر (٥) تأثيرات الجماعات البشرية على الغلاف المائي والصخري والحيوي . اما جان بروك (٦) فقد اكد على دور عناصر الحضارة في العلاقات ، ثم تناول نشاطات السكان الاقتصادية ومراكز استيطانهم واخيرا ، نمو وكثافة وتوزيع الجماعات البشرية .

(١) Perpillou, A. V. Human Geography, trans. from Franch by E. & Labord, 3th edit., London, 1968.

(٢) Money D. C., introduction to Human Geography, London, 1967.

(٣) Harm J. De. Blij, Human Geography, London, 1977.

(٤) Kevin R. Cox, An Introduction to Human Geography, New York, 1972.

(٥) Detwyler, T. A., man's impact on environment, London, 1971.

(٦) J. O. Broak, a Geography of mankind, London, 1973.

وعلى ضوء ماتقدم ، نعتقد ان احدى اسباب المتاعب في الجغرافية البشرية يتمثل في طبيعة موضوعها الذي هو عرضة للتغيير والتطور المستمر . ويذكر جيشولم ١٩٧٥ في هذا المجال انه حدثت تغييرات في مادة الموضوع خلال العقدين الاخيرين ، وعلى وجه الخصوص منذ فترة مابعد الحرب العالمية الثانية ، حيث ظهر اتجاه ينادي بتغيرات جذرية في اوضاع المجتمعات بعد الحرب بهدف النهوض باقتصادها . وقد ابر هذا الاتجاه على مادة الموضوع اكثر من منهج البحث (١) حيث انصب الاهتمام على دراسة المشاكل التي تواجه المجتمع البشري كمشكلة الجوع (الفقر) التي كتب عنها Albaum عام ١٩٧٢ ومشكلة الظلم الاجتماعي التي كتب عنها سميث ١٩٧٢ - ١٩٧٤ وهارفي - ١٩٧٢ (٢) كما اصدر ديفنز عام ١٩٧٧ كتاب (الجغرافية البشرية) مؤكدا فيه على دراسة الحاجات والمشاكل التي تواجه الجماعات البشرية في مناطقها المختلفة ثم الموارد الموجودة في تلك المناطق وكيفية الحصول عليها واخيرا تناول مستويات المعيشة في مناطق العالم المختلفة .

ونستشف مما سبق بأن المواضيع الاساسية في الجغرافية البشرية تتمثل بدراسة عناصر البيئة الجغرافية البشرية المتمثلة بدراسة العناصر الطبيعية المعدلة Humanised ثم دراسة الجماعات البشرية فيها من الناحية الانثروبولوجية والحضارية والاثنولوجية والجغرافية والعمرانية ومن ثم نتائج علاقاتهم ببيئتهم والتي تظهر بوضوح في انواع نشاطاتهم الاقتصادية ومراكز استيطانهم . واخيرا نمط الحياة السائد - لاحظ اسلوب البحث .

(١) David, M. Smith, Human Geography, London, 1977, P. 2.

(٢) Ibid, P. 5.

اسلوب البحث في الجغرافية البشرية

تصنف الدراسات والبحوث الجغرافية بصورة عامة الى صنفين اساسيين: الاول يتبع المنهج النظامي والثاني يتبع المنهج الاقليمي . وكانت معظم دراسات الجغرافية البشرية في بدايتها تقوم وفقاً للمنهج النظامي ولكن ما لبث ان نضجت الآراء الامكانية حتى رفضت هذا المنهج متبعة في معظم دراساتها ، المنهج الاقليمي . اما في الوقت الحاضر ، فنجد اختلافاً بين الجغرافيين حول تلك المناهج ، فمنهم من يتبع المنهج الاقليمي وآخرون يتبعون المنهج النظامي . وحتى ضمن هذه المناهج ، نلاحظ اختلاف في الاسلوب المتبع في البحث ، وذلك لاختلاف الآراء الفكرية والهدف من البحث . وقد حاولنا في هذا المجال على ضوء ماتقدم من مواضيع ان نعطي صورة لاسلوب البحث الذي نراه والمتمثل :-

اولاً : الجواب على الاسئلة التالية : اين ؟ من ؟ كيف ؟ لماذا ؟ (×) لاحظ شكل رقم (١) .

فالسؤال الاول ، اين ؟ يعني تحديد موقع المكان وتحليل عناصره الطبيعية التي تشمل : الموقع ، التركيب الجيولوجي ، الثروة المعدنية ، التضاريس ، المناخ ، الموارد المائية ، التربة ، النبات الطبيعي ، لتحديد الموارد والمشاكل الطبيعية في ذلك المكان . ويجب ان تدرس هذه العناصر بقدر علاقتها بحياة الجماعات البشرية مع تحديد لكل من العناصر النشطة والمؤثرة على حياة السكان والاخرى الخاملة . فمثلاً يعتبر المناخ اهم العوامل تأثيراً على مدن صيد الاسماك على سواحل نيوفاوندلاند ، حيث يكون تأثيره ، اكبر من تأثير التربة او التركيب الجيولوجي او النبات الطبيعي ، في حين يحتل التركيب الجيولوجي مركز الصدارة في التأثير على حياة مدن التعدين في اعالي انديز (١) . وبكلمة اخرى تحدد العناصر الطبيعية الفعالة والخاملة ، والسلبية والايجابية بالنسبة لحياة السكان . اما السؤال الثاني ، من ؟ فتعني التعريف بالجماعات البشرية التي تسكن ذلك المكان من حيث اصلها وكيفية تجمعها ثم عناصر حضارتها ، بما في ذلك العناصر الفكرية والمادية ، ثم نمو وتوزيع وكثافة وتركيب هذه الجماعات واخيراً انواع مراكز استيطانهم ونوعية هندسة ومواد بنائها . وبكلمة اخرى تحليل خصائص الجماعات البشرية من الناحية الانثروبولوجية

(×) لقد استخدم ديفد نفس الاسئلة في كتابة (الجغرافية البشرية ١٩٧٧)

ولكن باسلوب يختلف عما ورد اعلاه .

Dicken & Pitts, introduction to Human Geography, P. 10. (١)

والحضاريه والاثنوغرافية والجغرافية والعمرانية لتجديد امكاناتها ومشاكلها وفي الحقيقة يجب على الجغرافي ان يدرس الجماعات البشرية في هذا المجال وان يكون هدف دراسته خدمة تلك الجماعات في نفس الوقت . وتكمن المبررات التفصيلية لدراسة السكان في بحوث الجغرافية البشرية بالصورة الانفة الذكر بما يلي : -

١- لكونهم يشكلون ظاهرة اجتماعية اضافة الى كونهم ظاهرة بايولوجية . اي يشكلون ظاهرة بايواجتماعية Biosocial (١)
وتشكل هذه الظاهرة جزء محدد من الكتلة الحيوية في الغلاف الجغرافي بصورة عامة وفي البيئة الجغرافية البشرية بصورة خاصة . وبكلمة اخرى دراستهم من الناحية الانثروبولوجية .

٢- باعتبارهم مستهلكين لكميات كبيرة من المواد الحية وغير الحية في البيئة الجغرافية البشرية ، وفي نفس الوقت ، ملوئين لها بثاني اوكسيد الكربون والفضلات الاخرى الناتجة عن نشاطاتهم الحيوية والاقتصادية .

٣- باعتبار ان جزء منهم يشكل موردا بشرياً فعالا في استغلال موارد البيئة وجزءا اخر يخلق مشاكل بشرية .

٤- باعتبار ان خدماتهم ، تشكل الهدف الاساس لكل العلوم بصورة عامة ، بضمنها الجغرافية البشرية بشكل او بآخر .

٥- لتوضيح مخلفاتهم المادية على سطح الارض ، والناتجة عن تفاعل حياتهم المادية والفكرية (X) مع عناصر بيئتهم الطبيعية . وتشمل هذه المخلفات على المساكن والمصانع والطرق . . . الخ ، اما السؤال الثالث : كيف ؟ فيعني دراسة طريقة الحصول على الموارد . وبكلمة اخرى دراسة نتائج العلاقات بين السكان وبيئاتهم ، والمتمثلة بنشاطاتهم الاقتصادية،

Anuchin, theory of Geography, P. 48.

(١)

(X) الحضارة كما ذكرنا سابقا حصيلة اسلوب الحياة المادية والفكرية للجماعة ويجب في دراستنا ان تميز نوعين منها: المتقدمة ولها تأثيران الاول سلبي يتمثل بتلوث البيئة والاخر ايجابي يتمثل باستغلال الموارد بطرق علمية . اما المتخلفة فتأثيرها السلبي يتمثل بقلة استثمار الموارد الطبيعية والايجابي يتمثل بقلة تلوث البيئة .

من حيث انواعها واساليبها ونتائجها ومشاكلها . وفي الحقيقة ان علاقات السكان ببيئاتهم لا يمكن ملاحظتها الا من خلال اثارها المادية ، حيث ان الجماعات البشرية خلال حياتها اليومية تترك اثار نشاطاتها بطرق عديدة على سطح الارض وليس على قطعة طويلة من القماش بصورة مستمرة (١) .

وفيما يتعلق بالسؤال الرابع ، لماذا ؟ فيعني دراسة تركيب العناصر السابقة (×) ، لغرض توضيح الوضع المعاشي للسكان من خلال مدى توفير موارد الطعام والسكن والملبس . . . الخ ومدى استغلالها . ومحاولة معالجة الوضع المعاشي ان كان متردياً على ضوء امكانيات البيئة او المحافظة عليه ان كان مرتفعاً دون التأثير على مصلحة الجماعات البشرية الاخرى .

ثانياً : يجب في اية دراسة ناجحة ، في الجغرافية البشرية ان تأخذ بنظر الاعتبار الاسس التالية عند دراسة كل جواب من أجوبة الاسئلة السابقة :

١- اعتماد البحث على التطور التاريخي للحقائق سواء كانت طبيعية ام بشرية ، اذ لابد ان تعتمد دراسة الظواهر على عمقها التاريخي المتمثل بنشأتها وتطورها ، ولا نرجع الى التاريخ في تفسير الظواهر البشرية ، فقط بل وكذلك الطبيعية ، حيث يوضح ذلك تفسير كثير من الظواهر الطبيعية في المكان كالثروة المعدنية والتربة والمياه الجوفية . . . الخ .

٢- اعتماد على الاسلوب العلمي ، الذي نقصد به الاسلوب الذي يوصل الى هدف يخدم سكان المنطقة دون الحاق الضرر بسكان المناطق الاخرى .

٣- الاستعانة بالعلوم المجاورة للجغرافية البشرية ، لتفسير الحقائق الطبيعية والبشرية ، اضافة الى الاستعانة بالكارتوغرافي لتوضيح الحقائق القابلة للقياس .

Dicken & Pitts, P. 10.

(١)

(×) راجع عن دراسة تركيب العناصر بعد تحليلها : انستد ، ج . ف ، عرض جغرافي للعالم من الوجة البشرية ، ترجمة رمزي يسي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٥٧٣ - ٦٧٠ .

٤ - استخدام التحليل الكمي في الظواهر التي يمكن قياسها ، وبطرق مبسطة .

٥ - الاعتماد على البحث الميداني ، جهد الامكان . لاحظ شكل رقم (١) .

وثالثاً : يحدد هدف دراسة الجغرافية البشرية في المستطيل آ ، ب ، ج ، د ، الذي يشمل نسيج الاجوية عن (اين ، من ، كيف ، ماذا) والاسس التي درست بموجيها . ويتم ذلك بحصر الموارد والمشاكل الطبيعية والبشرية في جانب ثم الاسهام في الحلول والمقترحات لتلك المشاكل ، على ضوء الموارد المتوفرة في الجانب الاخر . لاحظ الشكل رقم (١) .

ومما تجدر الإشارة اليه انه قد أتبع منهجاً حديثاً في الجغرافية البشرية ، مايسمى بمنهج الانعاش البشري Human welfare نتيجة المشاكل البشرية المتزايدة عقب الحرب العالمية الثانية والتطور السريع في استخدام الطرق الاحصائية في دراسة المشاكل والموارد الطبيعية والبشرية . ومن اهم الدراسات التي أتبت هذه الطرق ، في دراسة النقل والمساكن والمواقع الصناعية والمدن هي دراسة Bunge عام ١٩٦٢ ودراسة Chorely and Haggett عام ١٩٦٧ ودراسة Morrill عام ١٩٧٠ ودراسة Cox ١٩٧٢ . . . الخ . اما اهم الدراسات التي تخص المشاكل البشرية هي دراسة Thompson عام ١٩٦٢ حول مستويات الانعاش في دول العالم الثالث ودراسة Chisholm عام ١٩٧١ البيم ١٩٧٠ عن مشكلة الجوع ودراسة سميث وهارفي عام ١٩٧٢ - ١٩٧٤ عن التخلف الاجتماعي (١) . ويتطلب منهج الانعاش (٢) :

١ - التفهم العميق لعيادة الجماعات البشرية من مختلف الجوانب الجغرافية .

David M. Smith, Human Geography, P. P. 4-5. (١)

Ibid, P. P. ix-6. (٢)

٢ - القدرة على حل او المساهمة في حل المشاكل التي تواجه تلك
الجماعات .

٣ - مقارنة الاوضاع الاقتصادية بين المناطق لتقرير الوضع الافضل
الذي يحقق الانعاش .

ويتمثل اسلوب البحث في هذا المنهج وفقا لما وضعه ديفند بما
يلي (١) :

١ - الوصف : ويقصد به الوصف المبني على التجربة عن درجة
تشابه مستوى الرخاء في الاقاليم المختلفة .

٢ - التفسير : ويعني تفسير كيفية الحصول على الموارد .

٣ - التقييم : ويقصد به تحديد الاشياء المرغوبة اجتماعيا في ذلك
المجتمع ، على ضوء وضعه الجغرافي لتحديد مستوى الرخاء فيه
مقارنة مع آخر ذو وضع جغرافي مختلف عنه .

٤ - وضع القواعد : ويتم على ضوء الاوضاع الجغرافية المتنوعة التي
يتحقق في كل منها درجة معينة من الرخاء .

٥ - الانجاز : ويقصد به استبدال وضع جغرافي غير مرغوب فيه
بوضع افضل يحقق الرخاء لتلك المجموعة اولا ثم الى العالم
ككل . . ويتم استبدال الوضع على ضوء استثمار موارد المنطقة
وتخفيف مشاكلها .

هدف البحث في الجغرافية البشرية

لا تقتصر دراسة الجغرافية البشرية على نسيج العلاقات القائمة بين عناصر البيئة الجغرافية البشرية فحسب بل لابد ان يكون لها هدف مادامت تشغل حيزا في حقل المعرفة العام . لقد ذكرنا فيما سبق عن تزايد المشاكل البشرية فيما بعد الحرب العالمية الثانية وقد تجسدت هذه المشاكل منذ منتصف هذا القرن . لذا كان لابد للجغرافية البشرية ان تقف بحزم لنصرة البشرية من خلال المساهمة في حل بعض مشاكلها . ونتيجة لذلك عرجت عن دراساتها الكلاسيكية السابقة (×) ، الى دراسات تهدف الى ما يسمى بالانعاش البشري (× ×) الذي يثبت اهميتها التطبيقية . ويهدف الانعاش الى (١) :

١ - تطوير المعرفة النافعة للمجتمع البشري ، بحيث تكون معرفة علمية اخلاقية يجب ان تكون علمية ، كي تحقق اكبر نفع واقل تلوثا ونفاذا

(×) لقد اوضح Ackerman عام ١٩٥٨ هدف الجغرافية البشرية الكلاسيكية في ان دراسة محتوى المكان ، هو الاساس لاقصى ما ينتهي اليه البحث في الجغرافية البشرية . والحقيقة ان الجغرافية البشرية الحديثة ، تدرس ايضا محتوى المكان ولكن ذلك ليس هدفها بل ، حصر الامكانيات والمشاكل الطبيعية في المكان للمساهمة في حلها .

راجع :

J. Beajeu Garnier, methods and perspective in Geography,
No. 1, What is Geography ? London, 1976, P. 6.

(× ×) تمتد جذور مفهوم الانعاش الى منتصف هذا القرن ، حيث عرفه Handerson عام ١٩٥٨ على انه تحديد للاشياء المرغوبة اجتماعيا من خلال الاوضاع الجغرافية المتنوعة . وبكلمة اخرى يشمل مختلف اسس التطور الذي يحقق الارتياح للجماعات البشرية بشرط الا يكون تأثير هذا التطور سلبيا على البيئة الطبيعية او الجماعات البشرية الاخرى . كما عرفه ميشان Mishan ١٩٦٤ على انه فرع من الجغرافية ، يدرس الاوضاع الجغرافية المختلفة بمقياس المفاضلة ، لاختيار افضلها بالنسبة للمجتمع . في حين عرفها ساث Nath ١٩٧٣ على انه فرع من الجغرافية يدرس التأثير المحتمل للاوضاع الجغرافية المختلفة على انعاش المجتمع .

David, p. 6

Ibid. p. XI.

(١)

للموارد ، كما يجب ان تكون اخلاقية ، والا نشأت مشكلة استغلال موارد الشعوب الضعيفة .

٢ - تطوير خاصية الحياة البشرية من حيث استثمارها للموارد وتقنياتها وصيانتها ، لتوفير افضل سبل العيش .

وتصنف المشاكل التي تواجه البشرية الى صنفين على اساس مصدرها : طبيعية النشأة كمشكلة الغبار الكوني والزلازل والمقذوفات البركانية والاعاصير والفيضانات والجفاف والارساب والانهيارات . . . الخ ومنها بشرية اي ناتجة عن علاقة الجماعات البشرية ببعضها وبيئاتها الطبيعية كمشكلة الملوحة والتعرية وتلوث الهواء والمياه ونفاذ الموارد الطبيعية، ومشكلة الجوع والتمييز العنصري والظلم الاجتماعي والاستغلال الاستعماري وتغييرات الحدود السياسية ، واكتضاض السكان ومشكلة النقل . . الخ . ونتيجة لذلك تهدف الجغرافية البشرية الحديثة من بين ما تهدفه التوصل الى انعاش المجتمع البشري . ويبرز دور الجغرافي في هذا المجال : لاحظ شكل رقم (١)

١ - حصر الموارد الطبيعية والبشرية في منطقة البحث .

٢ - حصر المشاكل الطبيعية والبشرية في نفس المنطقة .

٣ - الاسهام في الحلول والمقترحات وذلك عن طريق الحث على :-

أ - المحافظة على الموارد القابلة للتجديد كالماء العذب والحيوانات والنبات الطبيعي وخصوية التربة .

ب - صيانة وتقنين استغلال الموارد القابلة للنفاذ ، كمصادر الطاقة والمعادن .

ج - التخفيف من الكوارث الطبيعية ومن التلوث الناتج عن الطبيعة وعن نشاط الجماعات البشرية .

د - استغلال الموارد الطبيعية والبشرية بالطرق العلمية الايجابية (اللاملوثة) والاخلاقية (اللااستغلالية) .

وفعلًا ظهرت كثير من بحوث الجغرافية البشرية منذ منتصف هذا القرن
لمعالجة بعضا من المشاكل المذكورة آنفًا وإهم هذه الدراسات :

- ١ - بداية الري في حوض كولومبيا •
 - ٢ - برلين الغربية ، دراسة في الجغرافية السياسية •
 - ٣ - جغرافية صيد الاسماك في شمال المحيط الهادي •
 - ٤ - الاقليم الشمالي من نيجيريا ، دراسة في الجغرافية السياسية •
 - ٥ -- هجرة العمال في جنوب روديسيا •
 - ٦ - وظائف المدن في نيوزلاند •
 - ٧ - خارطة الجوع البشري التغذية والامراض . . . الخ (١) من
الدراسات المذكورة آنفًا •
- ويبدو واضحا مما سبق بأن هدف الجغرافية البشرية، الحديثة لا يقتصر
على دراسة العلاقات بين عناصر البيئة الجغرافية البشرية فقط بل الى انعاش
الجماعات البشرية في تلك البيئة •

ويبدو واضحا مما سبق من مناقشات لمفاهيم الجغرافية البشرية ، ما

يلي :-

١ - طرحت الجغرافية البشرية في بداية نشأتها ، كفكرة عامة في حقل المعرفة العام ، فحوها وصف اختلافات طباع واخللاق وصفات الجماعات البشرية على ضوء اختلاف بيئاتهم الطبيعية ، دون الاهتمام بدراسة تلك البيئات البيئات . كما كانت تطرح كموضوع عرضي ضمن مواضيع اخرى ، يمثل ميلا عقليا ، مشبعا بالوصف والتعميم والتبرير . ولم تنحدر فكرتها كموضوع مميز عن الدراسات الجغرافية الاخرى .

٢ - نتيجة للتطور الذي حضت به العلوم الطبيعية بصورة عامة والجغرافية الطبيعية بصورة خاصة خلال القرن التاسع عشر ، ان تحددت فكرة الجغرافية البشرية كموضوع مميز يدرس تأثيرات البيئة الطبيعية على الجماعات البشرية مبنداً بدراسة الجيولوجيا والتضاريس ويستمر بالناخ والتربة والنبات الطبيعي - عناصر البيئة الطبيعية - ثم عرض للجماعات البشرية مع تأكيد على اثر البيئة على حياة تلك الجماعات . متبعا الاساليب العلمية بهدف وضع الفرضيات والنظريات عن هذه العلاقة . وقد تصدت هذه الافكار في اواخر القرن التاسع عشر ضمن تطور الفكر الجغرافي العام لتمييزها عن الجغرافية الطبيعية التي تطورت على ضوء تطور العلوم الطبيعية في ذلك الوقت (١) .

٣ - بعد ان نشأت الجغرافية البشرية ، نشأة حتمية الى اواخر القرن التاسع عشر ، اتخذت اتجاهين اخرين منذ تلك الفترة ، هما الاتجاه الامكاني ، والاتجاه المادي (الماركسي) وقد دفعت هذه الاتجاهات بالجغرافية البشرية الى امام حيث وضع الاول دور الجماعات البشرية في تغيير مظهر بيئاتها التي اعتبرها بيئات جغرافية وليست طبيعية متبعا بذلك اسلوب التحري التاريخي محذرا من النظريات والقوانين لاعتماد دراساتهم على ظواهر بشرية متغيرة ومتطورة باستمرار . اما الاتجاه الاخر فقد اوضح دور الحياة المادية في علاقات الجماعات البشرية بيئاتها . مؤكدا على عوامل تطور المجتمع التي اهمها الانتاج المادي ، وبكلمة اخرى اكد على النواحي الاقتصادية عند دراسة العلاقات .

٤ - عند تطبيق مراحل تطور العلوم على الجغرافية البشرية نلاحظ

ما يلي :-

(١) راجع شامش ص ٢

أ - تحدد تعريفها بدراسة العلاقات المتبادلة بين عناصر البيئة الجغرافية البشرية ، لتحديد مواردها ومشاكلها والاسهام في حل تلك المشاكل .

ب - تحدد ميدان بحوثها بالبيئة الجغرافية البشرية .

ج - تحددت مواضيعها بدراسة العلاقات المتبادلة بين عناصر تلك البيئة .

د - تحدد منهج بحثها بالاجابة على الاسئلة : اين ؟ من ؟ كيف ؟ لماذا ؟ على ضوء التطور التاريخي والتحليل الكمي والعلوم المساعدة والمنهج العلمي والبحث الميداني .

هـ - تحدد هدفها في انعاش الجماعات البشرية عن طريق حصر الموارد والمشاكل البشرية والطبيعية والمساهمة في وضع الحلول والمقترحات للمشاكل .

و - وضعت نظريات عامة فيها، أثبت بعضها واطمحل البعض الآخر، مثال النظرية الحتمية ، تشابه البيئات ينتج انماط بشرية متشابهة والنظرية الامكانية ، تحدد حرية الجماعات البشرية في اختيار امكانات بيئاتهم ، بحدود مدى وفرة وتنوع ووضوح تلك الامكانات ، وبحدود مستواهم الحضاري . والنظرية المادية ، المتمثلة بأن اسلوب انتاج الخيرات المادية ، هو الذي يحدد علاقة الجماعات البشرية في بيئاتها وبالتالي في تطور المجتمع . كما وضعت نظريات اخرى في فروع الجغرافية البشرية، كنظرية النويات المركزية ، لكريستلر Christaller

عام ١٩٣٣ والنظرية الاقتصادية المكانية لأزارد Isard ١٩٦٠
ونظرية الموقع لجورلي Chorely عام ١٩٦٧ .

ز - ظل ما ينقص الجغرافية البشرية كي تصبح علم مميز كبقية العلوم ، هو عدم وجود القوانين فيها ، وذلك راجع الى التغير المستمر في الظواهر البشرية التي ندرسها ، لذا لايمكن وضع قانون في حقل يدرس ظواهر سريعة التغير .

المصادر

١- المصادر العربية :-

- ١- اداباشيف ، الانسان يصلح كوكبه ، دار التقدم ، موسكو (السنة غير مذكورة) .
- ٢- انستد ج.ف. ، عرض جغرافي للعالم من الوجهة البشرية ، ترجمة رمزي يسمي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ٣- الياس فرح ، تطور الفكر الماركسي ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- ٤- افاناسييف ق. ، اسس الفلسفة الماركسية ، ترجمة عبدالرزاق الصافي ، بغداد (السنة غير مذكورة) .
- ٥- تي دبليو فريمان ، قرن من التطور الجغرافي ، ترجمة شاكر خصباك ، بغداد ١٩٧٦ .
- ٦- داود جاسم الربيعي ، قضاء الزبير دراسة في الجغرافية البشرية ، بغداد ١٩٧٨ .
- ٧- راشد براوي ، مفاهيم جديدة في الاشتراكية ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٨- عباس عبد الرزاق ، الاطار النظري في الجغرافية ، بغداد ١٩٧٠ .
- ٩- علي عبد الكريم ، ماذا نعني بالغلاف الجغرافي ، مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، العدد ١٣ لسنة ١٩٧٨ .
- ١٠- عبد الفتاح محمد وهيبه ، جغرافية الانسان ، بيروت ١٩٧٢ .
- ١١- فؤاد محمد الصفار ، دراسات في الجغرافية البشرية، القاهرة ١٩٦٥ .
- ١٢- فاضل الانصاري ، ابحاث في الجغرافية الانسانية ، دمشق ، (السنة غير مذكورة) .
- ١٤- محمد السيد غلاب ، البيئة والمجتمع ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ١٥- محمد رياض ، الانسان ، دراسة في النوع والحضارة، القاهرة ١٩٧٤ .
- ١٦- جمال حمدان ، جغرافية البيئات ، القاهرة (السنة غير مذكورة) .
- ١٧- دولت صادق وعلي البنا و نبيل امبابي ، اسس الجغرافية العامة ، ج٢ ، القاهرة ١٩٧٥ .
- ١٨- زين الدين عبد المقصود ، ابحاث في مشاكل البيئة ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ .
- ١٩- يسري الجوهري ، اسس الجغرافية البشرية ، الاسكندرية ١٩٧٥ .

المصادر الأجنبية :

- 1 — Anuchin V. A., Theory of Geography, No. 3, direction in Geo., edited by K. J. Chorely, London, 1973.
- 2 — Brunhes J. Human Geography, trans. from Franch by Row, London, 1952.
- 3 — Dicken & Pitts, introduction to Human Geography, London, 1963.
- 4 — Detwyler T. A., Man's Impace on Environment, London, 1971.
- 5 — David M. Smith, Human Geography, London, 1977.
- 6 — Harm J. De Blij, Human Geography, London, 1977.
- 7 — J. W. Watson, The Sociallogical aspect of Geography, Geo. in 20th cen., edited by Taybr, London, 1967.
- 8 — Jones E., Human Geography, London, 1969.
- 9 — Jan O. M. Broak & John W. Webb, Ageography of man-
- 10 — J. Beajeu Qarnier, Methods and Perspective in Geography,
- 11 — Kalesnik S. V., General Geography regularities of the
- 12 — Kevin R. Cox, An Introduction to Human Geography, New York, 1972.
- 13 — Money D. C., Introduction to Human Geography, London,

- 14 — Perpillou A. V. Human Geography, trans. from Franch by E. Labord, London, 1968.
- 15 — Strahler A. N. & A. H. Strahler, Environmental Geo-Science, New York, 1973.
Geo-Science, New York, 1973.
- 16 — La Blache, V., Principle of Human Geography, trans. from Franch by Bingham, London, 1959.